# تلك الازمة

**هذا المقال الذي ننشره في هذا الباب وصلنا منذ شهرين ، وهو غفل من اسم كاتبه . وقد رأينا الا نهمله لما تضمنه من روح ثائرة وتفكير حيّ . ولا بد ان يوافينا كاتبه باسمه بعد قراءته .**

من قال إننا في ازمة ادبية ؟ . قد اوافق على اننا في ازمة اقتصادية ، اخلاقية ، ثقافية ، سياسية ... الى آخر ما هنالك من الأزمات ، أما ازمة ادبية فلا .

ما هو الأدب ؟ هل هو سوى تعبير عن الحياة بجميع ما فيها من واقع وامكانيات ؟ هل الفن في الامة ، بما فيه الأدب ، سوى تعبير عن روحها بما ينطوي في تلك الروح من براعم في طريقها الى التفتح أو الى الضمور ؟ هل هو سوى الاطار الذي يضم دقائق الخلجات الحية في الامة ؟

أليس لدينا ادب يعبر عنا اصدق التعبير ؟ عن واقعنا الهزيل وامانينا الحقيرة واستكانتنا التي لا حد لها ؟ أليس لدينا ادب تشتم منه روائح الجيف التي هي نحن ، وتتمثل فيه الطفولة المريضة الخامدة الحيوية التي نعيشها ؟

لم الشكوى من الازمة ؟ نريد ادباً غير هذا النوع الذي ينشر على صفحات مجلاتنا ، وتطلع علينا به كل يوم مطابعنا فليست مسألة ازمة هي ما نواجه بل مسألة شعور بالضعف ، بالعجز عن إنتاج شيء ذي قيمة . فاذا تم الاتفاق على هذا ، فمن العبث والتناقض مع الذات ان نطلب من انسان مريض القيام بأعمال العمالقة . ليست هناك ازمة بل ازمات تتطلب منا حلولاً وتفانياً في هذه الحلول لان المسألة مسألة حياة أو موت .

يريد منا الاستاذ رئيف خوري* ان نعالج الضعف في ادبنا باهمال المقالة والقصة القصيرة وسائر الأعمال الأدبية القصيرة وجعل الأديب يبذل جهوده في مؤلفات كاملة طويلة طمعاً في انتاج شيء ذي قيمة .

لقد مارسنا هذه التجربة في حياتنا الادبية ، وهناك عدد كبير ممن يمارس المهنة من الذين اشتغلوا في الأعمال الطويلة ولم يخرجوا شيئاً لسبب بسيط هو ان الأديب الذي يعجز عن إنتاج قصة قصيرة ذات قيمة يعجز في الوقت نفسه عن انتاج قصة طويلة . المسألة مسألة إمكانيات توجد لدى الشخص اولاً ، ثم تخلق فيما بعد . اما الشكل الذي تخلق فيه فليس سوى إطار لا قيمة جوهرية له .

إن الازمة تنحل الى ازمات ، وهذه ليست من اختصاص احد بعينه او هيئة بعينها . كلنا مسئولون لدرجة ما صغيرة او كبيرة إزاء تلك الازمات ، وبالتالي مسئولون إزاء الأزمة الكبرى ، ازمة الادب كما يراد تسميتها .

هناك حقيقة بسيطة جداً ، لم تعص على الانسان الحجري ولم تزدد تعقيداً على مر الأجيال ، غير انها لم تر منا الصدر الذي يستقبلها ، ولذا انزوت عنا تاركة إيانا نتلمس المستند دون جدوى . هذه الحقيقة هي انه يجب ان نناضل لنحيا ، وأن متع الحياة العميقة بجميع ما تنطوي عليه تتسلسل في حياة نضالية يقودها الفرد او الجماعة .

أية حياة نضالية نقودها في هذه المرحلة التاريخية المليئة بمستوجبات النضال ، النضال ضد العادات ، ضد التقاليد ، ضد الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، ضد الموجات السياسية ، ضد القصور الثقافي الضارب اطنابه في عالمنا العربي ؟

أية رسالة نحملها ونتوجه اليها بكياننا كاملاً ونفنى فيها ، لنجعل من حياتنا بكل دقائقها ومظاهرها شيئاً ذا معنى ؟ فننتفض حينئذٍ من هزالنا ويصبح ما يصدر عنا قوياً جميلاً كأنه صادر عن آلهة ؟

لقد افهمنا المسيح منذ أجيال اننا لا نستطيع ان نخدم سيدين ، فكيف تستطيع المجلة التجارية ان تخدم الادب الحي ، وكيف يستطيع الكاتب المفروض فيه ان يكون مناضلاً يكتفي بالمقومات المادية التي يكتفي بها جندي في المعركة ان ينتج آثاراً ذات قيمة ؟

فكرة الشهر

لدينا ازمة او ازمات ولكن هل هي مقصورة علينا فحسب ؟ قليل من الملاحظة ونرى ان هذه الازمات عالمية وانها ترتبط

( * ) إشارة الى مقال « نسينا عدواً للأدب » المنشور في « الآداب » ( العدد العاشر من السنة الاولى ) .

في الدرجة الاولى بالموجات الاقتصادية والسياسية التي جرّت ضموراً شاملاً في العالم رغم الرقي الصناعي لدى بعض الامم .

لقد كان القرنان الثامن عشر والتاسع عشر مراحل يقظة بالنسبة لعدد كبير من الامم فجرّت تلك المراحل القفزات الرائعة التي سحرتنا في اوربا وامريكا، وكان من نتائجها استقطاب القوى الانسانية لدى تلك الامم . امـــا الآن ، وقد مالت الجماهير في اغلب البقاع عن الطبيعة النضالية، وطمعت في ان تصنع السعادة عن طريق الاستقرار ، فقد كان من نتيجة ذلك ان اصيب العالم بالفقر في النواحي الثقافية والفنية، وكان القرن العشرون هزيلاً رغم ضخامة الصناعة .

لقد تنبأ نيتشه بهذا، ولم يصدقه احد حين قال بأنه لن يمر وقت قصير حتى يفسد التفكير إذا بقيت الطبيعة النضالية معطلة ولم يكتب المفكرون بدمهم على حد تعبيره .

الازمة او الازمات عالمية ، إذن ، غير انها بالنسبة لنـــا غيرها بالنسبة لامريكا مثلاً، إذ ليس لدينا الوقت الكافي لننتفض من اقفاصنا ونفكر في الامر بعد ان نتنسم الهواء الطلق . التيار يسرع بنا حثيثاً، وكل لحظة تمر تستهلك مقداراً هائلاً من امكانياتنا، وموقف المتفرج بالنسبة لنا انتحار يتناول الفرد بالقدر الذي يتناول الجماعة . علينا ان ندرك هذه الحقيقة، وان نسلك إذا ما أردنا ان نحل ازماتنا غير هذا السلوك .

نريد ان نحل ازمة الأدب ؟ إذن ، علينا ان نكون في الطليعة النضالية مع اعطاء هذا التعبير شموله الكامل، فنحارب في حقول العائلة والمجتمع والسياسة ، في جميع الحقول وحيث نرى مجالا للجهاد . لنعط عواطفنا القوة الكافية لتصبح سيلاً جارفاً بدلا من ان تكون الواناً باهتة تلصق فينا لصقاً . لنتعلم الحقد والكره والحب، ولنر في تغذية مثل هذه العواطف سعادة منشودة . لنحطم ولنَفْن في التحطيم ولنبن ولنفن في البنـــاء ولنتخذ في جميع هذا الاخلاص طابعاً .

الرفاهية التي نجعلها مثالا يوجه سلوكنا على الأغلب شيء لا قيمة له، بل هي نوع من الموت ، وهل يمكن ان يعد حياً من تكلفه رفاهيته كرامته ؟

العودة إلى الصحراء رمز لا بأس به للرجوع إلى طبيعتنـــا الفطرية في النضال ، فنعرف في سلوكنا حينئذ اللانهاية من المتعة، المتعة العميقة التي تكوّن هيكل ما تجود به نفس الانسان من خيرات .

الموت ، الفقر ، النبذ الاجتماعي لم تعد سوى أشباح لمخاوف تلوح لنا بها الحياة ، فنحن لا ننال رضاهـا إلا إذا اجتزنا تلك التجارب كما يفعل طلاب الكنوز في الاساطير. وعلينا، نحن رواد مجاهل الحياة ، ان نمر بتلك التجارب بالشجاعة الكافية فنهزأ من جميع القوى . علينا ايضاً ان نكفر عن خطايانا إذا لم نتمثل تلك المفاهيم بعد، ولو أدى هذا التكفير الى التضحية بأي شيء عزيز علينا ، إلى التضحية بحياتنا .

إن المناقشة في مثل هذه الأمور لا تفيدنا شيئاً . فإن عقبات هائلة تقف في سبيل فهمها . يمكن أن يفهمها التلاميذ الذين لم يصطدموا بالواقع بعد وان يتبنى شيئاً النظريون الذين ينتظرون من الآخرين سمناً وعسلاً متخذين منها وسيلة من جملة الوسائل التي اخترعت في هذا الزمان للتدجيل ؛ غير انهـــا تبقى رغم الانـــكار والخوف والدموع واللجوء الى سبل الانحراف الأخلاقي والتملق حقائق ثابتة تشعر بفراغ كبير دونها ، فراغ يضطرنا الى اللجوء الى الف وسيلة ووسيلة لتقطيع الوقت ولتغيير طريقنا آلاف المرات كالديدان لا حاسة لها سوى اللمس.

بالنسبة للأدب، على مجلاتنا التي تريد ان تحيا ان تعرف كيف تضحي في سبيل جمهورها وتقدم لهم ما يداوي القلق فيهم وما ينير حياتهم فتزودهم بما لم يزودهم بـه بعد المجتمع ولا المنشآت الثقافية ؛ وعلى الكتّاب ألا يجربوا سوى تقـديم الخمور الصافية ويمتنعوا اذا ما صعب عليهم تقديم مثل هذه الخمور . عليهم ان يكونوا الينابيع الثرة في هـذا المجتمع، لا تجار افيون يصنعون من بضاعتهم سلاحاً قوياً يخدم الاغراض السياسية والاختلال الاقتصادي وسائر عوامل الهدم في المجتمع .

لقد برهنت المجتمعات العربية، رغم انها في طفولة يقظتها، ان لديها حدساً قوياً يجعل من تقديرها العفوي لمثل هذه الأمور امراً حساساً . لقد تعلقت يوماً ما بمجلات ثم نبذتها، وتعلقت بكتاب ونبذتهم رغم الطبول التي ضربت لهم ، وتعلقت بزعماء ولفظتهم ولا تزال ترمي الاجهزة المسخرة ضدهـــا من جميع الانواع بالاحتقار وتحطمها شيئاً فشيئاً تحطيماً بطيئاً .

إن هذا يدعو للتفاؤل لو كان لدينا الوقت الكافي . اما في هذه الحالة ، حيث الزمن يسبقنا ، فإننا نحتاج في ميادين حياتنا لمجنّدين يلهبهم الاخلاص ويندفعون في تغيير معنى الحياة لدينا وكتابة صفحة جديدة في تاريخنا .